



إن كنت أنسى فلا يمكن أن أنسى رغيف الخبز في طفولتي في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، ألم وذل الوقوف في طابور الخبز المشؤوم لأكثر من ثلاثة ساعات للحصول على حفنة من أرغفة الخبز في ظل النظام الأسدية الأب، وبعد هذا الوقوف الطويل إذ بالمفاجأة تعلن عن نفسها بانتهاء الخبز وإغلاق المخبز، فأخرج من المخبز خالي الوفاض حتى من خفي حنين تخنقني العبرات لتبدأ رحلة عذاب ثانية للبحث عن مخبز آخر ، وهكذا دواليك في كل يوم .

وإن كنت أنسى فلا أنسى مشهد تطاير أرغفة الخبز فوق رؤوسنا كأنها أطباق فضائية طائرة فيحاول كل فرد منا أن يتناوش شيئاً من هذه الأطباق الفضائية الطائرة وكأنها عجيبة من عجائب الدهر، وأنّي لطفل صغير نحيل ضعيف في مثل سني أن يحصل على طبق خبز طائر بوجود الرجال الأشداء، فكنت أشعّب نهمتي وأعمل نفسي بمنظر طيرانها البديع، وأمتع عيني برؤيه هذه الأرغفة كأنها النجوم والكواكب في مداراتها، وكلّ في ذلك يسخون.

ودار الزمن دورته، وتطور المشهد ، فإذا بالأرغفة في ظل النظام الأسدية الابن تتعطل عن الطيران ، لأن طيرانا آخر دخل حلبة المنافسة ، طيران يلقى للجوعى الواقفين في الطوابير ليس أرغفة فضائية كالتي كنا نراها ونحاول تناوشها ؛ بل صواريخ مدمرة، وبراميل متفجرة، وقنابل حارقة، ليمزج ويعجن الطحين بدم الفطير التصيري الأسدية، وإن الرغيف ليستحيبي أن يطير عندما تحلق طائرات حماة الديار؛ بل إنه ليخرج أن يطلّ بوجهه أمام عجائن اللحم والدم التي تخبزها على عجل هاتيك الطابخات، لتطير أرواح هذه العجائن بسرعة الضوء والبرق مخترقه آفاق السموات العلي، متوجهة صوب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لتأكل وقد حظيت بالشهادة من خبز الجنة الذي لا يدانيه ولا يماثله كل خبز الدنيا.

إنه عرس الشهادة الجماعي الذي تقام احتفالاته أمام أبواب المخابز، العرس الجماعي الفريد الذي لم يقم سوقه من قبل في دنيا الناس، أعراس شهداء المخابز التي لم تشهدتها البشرية من قبل ولا أظن أنها ستشهد مثلها.

أعراس شهداء المخابز التي تستقدم لها عازفات القنابل وراقصات الطائرات وموسيقى البراميل المتفجرة ، وألعاب الصواريخ النارية.

أعراس شهداء المخابز التي ابتدعها بشار وعصايتها وتفتق عنها عقله الخبيث، وإن إبليس ليعجب ويغار من بشار كيف نافسه

وكنت امرء من جند إبليس فارتقى *** بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده *** طرائق فسوق ليس يحسنها بعدى

هذه يا سادة أغurasنا!! فهلا مَّتع العالم الحر ناظريه برؤيتها، وهلا ابتهج مجلس الأمن بأغurasنا، وهلا سعى بان كي مون لحضورها حتى يزول عنه القلق.. فليتفضل الجميع لشهود أغurasنا قبل نفاد التذاكر، وحتى لا ينزعجوا نوصيهم ألا يصطحبوا معهم الأطفال.

[رابطة العلماء السوريين](#)

المصادر: